جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الإنسانية– قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية – البكالوريوس– المرحلة الرابعة

اسم المادة : مناهج مفسرين

عنوان المحاضرة

اشهر التفاسير بالمنهج الأثري النظري

أ.د عثمان فوزي علي

اشهر التفاسير بالمنهج الأثري النظري

مفهوم (التفسير الأثري النظري):

التفسير الأثري النظري هو التفسير الذي يجمع بين جانبين:

الأول: جانب التفسير بالمأثور، القائم على الرواية والنقل، وإيراد الأقوال المأثورة فقط، دون نظر أو تحليل أو تأويل.

الثاني: جانب التفسير بالرأي ، القائم على النظر والاجتهاد، والتحليل والتأويل ،دون ذكر للمأثور.

هناك تفاسير اكتفت بإيراد الأقوال المأثورة، المتمثلة في الأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم، ولايكاد المفسر يذكر شيئاً من التوجيه والتحليل، وإنّ كان ذلك قليلاً ، لا يكاد يُذكر أمام(الكم الكبير) من الروايات المأثورة التي ملأت تفسيره.

وهذا ملحوظ في التفاسير التي طبعت ، والتي جمعت فيها أقوال واختيارات مفسرين من الصحابة أو التابعين، كتفسير ابن عباس، وتفسير مجاهد، وتفسير قتادة، وتفسير السدي، وتفسير الحسن البصري، وتفسير عبد الرزاق، وتفسير أحمد بن حنبل، وتفسير سفيان الثوري.

ويبدو هذا في تفسير السيوطي(الدر المنثور) الذي تحدثنا عنه قبل قليل.

هذه التفاسير تصنف ضمن التفسير بالمأثور ، ولهذا أوردناها ضمن الفصل السابق الذي خصصناه للتفسير بالمأثور.

وهناك تفاسير اكتفت بالرأي والنظر والتحليل والتوجيه والاستنباط، وتوسعت في الموضوعات العقلية أو الفقهية أو النحوية، أو البلاغية، ولا تكاد ترى في هذه التفاسير العقلية شيئاً من المأثور ،وإذا كان فيه شيءُ منهُ كان قليلاً لا يكاد يُذكر.

يبدو هذا في التفاسير العقلية كتفسير الزمخشري، وتفسير الرازي، وتفسير البيضاوي، وتفسير النسفي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القمي النيسابوري، وسنعرّف بهذه

التفاسير في الفصل القادم إن شاء الله تعالى، الذي سنخصصهُ للتفسير بالرأي بعونهِ تعالى.

والتفسير الأثري النظري هو الذي يجمع بين المنهجين السابقين ، وينسق بينهما، ويرفض غُلُوَّ كل فريق بمنهجه، وإهمال الآخر، فلا صاحب المأثور يفسُّر بالرأي، ولا صاحب الرأي يفسر بالمأثور.

أصحاب هذا المنهج ينسقون بين المأثور والرأي، فترى في تفاسيرهم أقوالاً مأثورة، من أحاديث وأقوال صحابة وتابعين، وترى فيها نظراً واجتهاداً وتحليلاً وتأويلاً.

وهم في هذا التنسيق يكونون قد جمعوا بين الحُسْنَيَيْن، فأخذوا حسنة التفسير بالمأثور، الذي هو ضروري لفهم القرآن، وأخذوا حسنة التفسير بالرأي والنظر، الذي لا بدَّ منه لتفسير القرآن أيضاًز

ومن أشهر التفاسير التي جمعت بين الأثر والنظر: .

تفسير يحيى بن سلام البصري، وتفسير بقي بن مخلد الأندلسي، وتفسير ابن عطية الأندلسي، وتفسير ابن الجوزي، وتفسير الواحدي، وتفسير البغوي، وتفسير الشوكاني، وسنعرَّف بأهم التفاسير فيما يلي بعون الله تعالى :

أما أشهر تفسيرين قاما على هذا المنهج – تفسير الطبري وتفسير ابن كثير – فسنخصص لكل منهما مبحثاً في هذا الفصل إنّ شاء الله تعالى .

والان نتكلم عن أشهر التفاسير التي جمعت بين الأثر والنظر:

اولاً: تفسير يحيى بن سلام البصري:

ذهب كثير من العلماء الى ان (يحيى بن سلام البصري) هو أول من فسَّر القرآن كاملاً على أساس (المنهج الأثري النظري) ، وأنه ألف تفسيره قبل أن يؤلف الطبري تفسيره بحوالي قرن، وأن التفاسير التي كانت قبل يحيى بن سلام كانت تفاسير بالمأثور فقط.

قال محمد الفاضل بن عاشور في كتابه (التفسير ورجاله) :(نعني بهذا تفسراً جليلاً من صميم آثار القرن الثاني، وهو أقدم التفاسير الموجودة اليوم على الإطلاق، ألف بالقيروان وروُى فيها، وبقيت نسخته الوحيدة بين تونس والقيروان، وهو الذي يعتبر مؤسس طريقة التفسير النقدي، او الأثري النظري، التي سار عليها بعده ابن جرير الطبري واشتهر بها.

ذلك هو تفسير يحيى بن سلام التيمي البصري الأفريقي المتوفى سنة(٢٠٠هـ) وهو تفسير يقع في ثلاثين جزءاً ، أي في ثلاث مجلدات ضخمة.

وتفسير ابن سلام البصري مبني على إيراد الأخبار مسندة، ثم تعقبها بالنقد والاختيار، فبعد أن يورد الأخبار المروية مفتتحاً إسنادها بقوله:(حدثنا)، يأتي بحكمه الاختياري بقوله) : قال يحيى) ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوي والتخريج الإعرابي ، ويتدرج من اختيار المعنى الى اختيار القراءة التي تتماشى وإياه.

وان هذا الكتاب سُمع من مؤلفه بأفريقية، وشهد بانه كتاب ليس لأحد من المتقدمين مثله، وكذلك نقل عن إمام القراءات أبي عمرو الداني: أنه قال:(ليس لأحد من المتقدمين مثل:

تفسير ابن سلام)

ويغلب على التفسير نزعة الرواية ، دون أن يغفل التذكير برأيه إن اقتضى الأمر ، أو أن يستعين على الشرح باللغة أو النحو ، او غيرهما من العلوم السائدة في عصره.

ولتفسير يحيى بن سلام البصري ثلاث مختصرات:

الأول: اختصره أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان الأنصاري القرطبي،المتوفي سنة(٤١٣هـ)، واختصارهُ مفقود.

الثاني: اختصره ابن أبي زمنين : أبو عبد الله : محمد بن عبد الله بن عيسى المري الإلبيري ، المتوفى سنة (٣٩٩هـ) ، وهذا التفسير مخطوط في تونس.

الثالث: أختصره هود بن مُحَكَّم الهواري، قاضي الإباضية في قبيلة (هوارة) البربرية في الجزائر والمتوفى سنة(٢٨٠هـ)، وقد حقق هذا التفسير المختصر الباحث الجزائري بالحاج بن سعيد شريفي ونشرته له دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة ١٤١٠- ١٩٩٠ في أربعة أجزاء، حيث عقد بالحاج شريفي مقارنة بين تفسير هود بن محكّم الهواري، وتفسير يحيى بن سلام البصري، وخرج من تلك المقارنة بقوله:

واليوم : وبعد أكثر من عشر سنوات من التحقيق والمقارنة والاستقراء، أستطيع أن أقول بدون تردد:

أن الشيخ هوداً الهواري اعتمد اعتماداً كثيراً- إن لم أقل اعتماداً كلياً- على تفسير ابن سلام البصري ،ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنواناً غير الذي وجدته في المخطوطات لكان العنوان هكذا: تفسير الشيخ هود الهواري: مختصر تفسير ابن سلام البصري، لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود الهواري ، وعند إلقاء نظرة ندرك ان تفسير ابن سلام البصري وفق المنهج الأثري النظري، الجامع بين التفسير بالمأثور ، وبالتفسير بالرأي والاجتهاد الترجيح.

ثانياً: تفسير بَقِّي بن مَخْلَد القرطبي:

اعتبر الدكتور عدنان زرزور بَقِّي بن مَخْلَد مثل الإمام الطبري في ترسيخ منهج التفسير الإثري النظري الجامع بين النظر والاستدلال، وبين المأثور والرواية : ولهذا يعتبر تفسير الطبري أول خطوة هامة ، أو أبرز خط في السلم البياني الذي يمكن رسمه لتاريخ التفسير، لا يضارعه في ذلك سوى تفسير بَقِّي بن مَخْلَد المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، كما ذهب إلى ذلك ابن بشكوال، وقطع به ابن حزم (رحمه الله) ، سواء أكان هذا أم ذاك، فهما يمثلان هذ المرحلة على كل حال .

وعني بالأثر ، وكان إماماً زاهداً، صّواماً صادقاً، كثير التهجد ، مجاب الدعوة، بحراً في العلم ، مجتهداً ، لا يقلد أحد بل يفتي بالأثر، وهو الذي نشر الحديث في الأندلس وكثرهُ، وليس لأحد مثل مسنده ولا تفسيره، ولد في رمضان سنة إحدى ومئتين ، ومات في جمادي الآخرة سنة ست وسبعين ومئتين .

ولا نستطيع أن نحكم على قيمة التفسير ، لأنه مفقود.